



قصور المناهج النقدية الغربية

وأبرز المآخذ عليها فنياً وفكرياً

يموج عالمنا الفكري عامة، والأدبي والنقدي منه خاصة بتيارات ومذاهب شتى، ما صلح منها وما فسد، ويكاد الأديب والناقد يضيعان في زخم هذه التيارات، إذ تتجاذبهما هذه أو تلك فتؤثر في إنتاجهما سلباً أو إيجاباً إلا من رحم الله، فاتخذ من مبادئه وهويته نبراساً يهديه إلى سواء السبيل.

وسأكشف الضوء عن الأصول الفلسفية التي يستند إليها المذهب النقدي الإسلامي، ثم أنطلق إلى المذاهب الغربية لأوضح نظرتها إلى الأدب مضموناً وشكلاً من خلال رؤية نقدية إسلامية.

د. زينب بيره جكلي-سورية



«أولاً: المذهب الإسلامي للنقد الأدبي»

ويستند إلى أصول فلسفية نبعت من الإسلام وهي:

أ- الربانية: وتعني أن تكون غاية الأديب والناقد إرضاء رب العالمين، لأن الإنسان لم يخلق عبثاً، وعليه أن يخضع أهواءه ورغباته لنظام وشرع خطه بارئته تعالى، الذي أكمل دينه للبشرية لينقذ العباد من الوثنية وانحرافاتهما ظاهرة كانت أم باطنة.

ب- الإنسانية: فالناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة، وأكرمهم عند الله أتقاهم، والإنسان مخلوق مكرم، برأه الله في أحسن تقويم، ومنحه العقل والإرادة، وهده السبيل، واستخلفه في الأرض وطلب منه أن يتقرب إليه بلا واسطة، وهو على أي حال ليس نداً لله تعالى.

وهذه البديهيات لا يدركها كثير من أصحاب النظريات التي يؤله بعضها الإنسان، أو ينحط به إلى درجة الحيوانية.

ج- الشمولية: شريعة الإسلام شاملة للحياة أفراداً وجماعات، وفي جميع مراحل أعمارهم، كما تشمل جوانبها السياسية والاجتماعية والفكرية،

وللناس طراً صغيرهم وكبيرهم، وفي جميع مراحل العمر، وفي الأمكنة والأزمنة كلها، ولكل نظام واضح في الإسلام.

د- الوسطية أو التوازن: فلا جموح بها إلى اليمين ولا إلى اليسار، ولا إلى فردية متطرفة أو جماعة ما إن كانت تخالف الإسلام.

هـ - الواقعية: وليست هذه كالواقعية المادية الغربية، وإنما هي واقعية الإنسان بخيره وشره، الذي تنتهي حياته بالموت وبعدها يوفى ما كسب في اليوم الآخر، واقعية يتعايش فيها الناس من غير جنوح إلى مثالية خيالية وهمية، ولا انحدار في حمأة المنكر والرذيلة.

و- الوضوح: في الأصول العقائدية والأخلاقية والتشريعات، وفي الهدف والمسلك والغاية مع الثبات على الحق في مرونة لا تتخطى الثوابت. بينما تفتقد الأنظمة البشرية هذا الوضوح وإن كانت أصولها واحدة، فالاشتراكية في فرنسا غيرها في البلاد العربية^(١).

ز- الجمع بين الثبات والمرونة: الثبات في المصادر وفي الأسس والأصول، مع المرونة في التشريع فيما لم يأت به نص قاطع.

وفي ضوء هذه الخصائص يتحرك كل من الأديب والناقد. فالأدب في المنهج الإسلامي «تعبير فني هادف عن الكون والإنسان والحياة وفق التصور الإسلامي»^(٢)، وبذلك يدور الأديب والناقد الإسلاميان مع الإسلام حيث دار، ويصدران عنه قولاً وعملاً في أي بقعة أو زمان، ساعين نحو عالم أفضل يحكم بشرع الله وهده^(٣).

أ- فمضمونه يتحدث عن الكون على أنه آية من آيات الله الكبرى، سخره الله لخدمة الإنسان ليكون عمله تبعاً لما يرضي مولاه.

والإنسان جسد وروح، عقل وعاطفة، ولا صراع بين الإنسان والطبيعة.

والحياة في المنظور الإسلامي: هي دنيا وأخرى، يسير في الأولى نحو هدفه الأسمى دون أن يحرم من نعيمها، ويستأخي مع أخيه المسلم لإقامة خلافة الله في الأرض مهتدياً بدستور القرآن الكريم، وهو في خضم الحياة ومعتز بها يشعر بالعزة ولا يستكين إلا لرب العالمين، ينقض على الطفيان كالبركان، ويسير بخطى متفائلة لا متشائماً ولا يائساً، وهو



لا يدع مجالاً من مجالات الحياة دون أن تتفعل نفسه به، ويعبر عن تجربته الشعورية مستنهضاً الهمم الخاوية ليغير التغيير المنشود، ويشارك الأدب والنقد الإسلامي الأمة في مصائبها وهو يرى في نزعة إنسانية إيمانية أن المسلم في كل بقاع الأرض أخو المسلم.

ولم ينس الأديب والناقد المسلم الدار الآخرة، فهي الحياة، وهي المرتجى، ولذلك فهو يسعى نحوها في مسيرته الدنيوية.

وبهذا يفتح المذهب الإسلامي في الأدب والنقد آفاقاً رحبة يجول فيها كل منهما ويصول في عالمي الأرض والسماء، ملتزماً في مسيرته الطويلة تعاليم الإسلام، يعبر عن تجاربه الذاتية فيقدم عصارة جهده ﴿...كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلُّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا...﴾ (٢٥) (إبراهيم).

ب- أما نظرته إلى الشكل الفني: فهو يتطلب الجمال الفني والموضوعي معاً للحفاظ على الهوية الإسلامية، ولتصحيح مفاهيم الغرب في مضمون الأدب وشكله، ولتوجيه من يقبس منهم الوجهة الرشيدة لينقذوا البشرية من أزمات الحضارة المادية.

كما يرفض المذهب الإسلامي استخدام المصطلحات الأجنبية التي لها بدائل بالفصحى، ويدعو إلى تعريب الأجنبية منها.

أما موقفه من الرمز فإنه لا يعارضه ما كان شافياً لا غامضاً:



لأن الغاية من الكلمة الإفهام، وانغلاق المعنى يقطع الصلة بين الأديب والمتلقي فيهدر بذلك رسالة الكلمة والغاية من الفن^(٤)، وليس معنى هذا أن يعمد الأديب إلى

الوضوح المبتذل أو إلى السطحية، بل إن التعبير المجازي أسلوب عربي قديم.

ومع هذه السعة فإن فريقاً من المعارضين للمذهب الإسلامي اتهموه بالسطحية والفقر الإبداعي، وعدم مواكبة الحضارة المعاصرة، وهؤلاء أحد رجلين: إما أنهم لم يتعرفوا على هذا المذهب وخصائصه لأنهم لم يقرؤوا عنه، ولم يسبروا أغواره في المضمون والشكل^(٥)، وإما أنهم ينظرون إلى الأدب العربي ومدارسه النقدية بمنظار غربي يجعلهم يرفضون أو يستهينون ما عداها.

ثانياً: المذاهب النقدية الغربية برؤية إسلامية:

وهذه المذاهب النقدية تقوم على أسس ومنطلقات نبعت من بيئة غير بيئاتنا، واعتمدت على قيم غير قيمنا، وسأوضح هذا من خلال رؤية إسلامية لها:

١- المذهب الاتباعي «الكلاسيكي»:

وهو مذهب تعود جذوره إلى الفلسفة الإغريقية الوثنية، ويدعو إلى محاكاة الأدب الإغريقي، وهو يقدس العقل، وينظر إلى الطبيعة الإنسانية نظرة مثالية، ويتوجه إلى الطبقات العليا في المجتمع، بل إن لافونتين سمى الطبقة الفقيرة

كَبُرَتْ ذَاتُكَ الْعَلِيَّةُ أَنْ تُحَـ
صِي ثَنَاهَا الْأَلْقَابُ وَالْأَسْمَاءُ

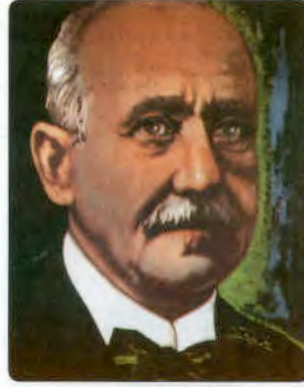
وَلَكِ الْمُنَشَّآتُ فِي كُلِّ بَحْرٍ
وَلَكِ الْبَرُّ أَرْضُهُ وَالسَّمَاءُ^(٧)

وَلَا أَظُنُّ مُسْلِمًا يَرْضَى أَنْ يَمْدَحَ
مَلْعَدٌ بِأَنْ ذَاتَهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَبُرَتْ أَنْ
يَحْصِيَ ثَنَاهَا الْأَلْقَابُ وَالْأَسْمَاءُ،
وَأَنْ مُلْكُهُ بَلْغُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ...
هَذِهِ مَغَالَاةٌ وَانْحِرَافٌ عَنِ الْإِسْلَامِ
مِنْ أَمِيرِ شُعْرَاءِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ فِي
شِعْرِنَا الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ، وَكَانَ قَوْلُهُ
هَذَا بِتَأْثِيرِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ وَمَحَاكَاتِهَا
لِلْقَدَامَى مَضْمُونًا وَشَكْلًا.

٢- الْمَدْرَسَةُ الْإِبْدَاعِيَّةُ «الرُّومَانِيَّةُ»:

جَاءَتْ هَذِهِ رَدَّةُ فِعْلٍ لَجُمُوحِ
الْمَدْرَسَةِ الْإِتْبَاعِيَّةِ إِلَى الْعَقْلِ،
فَدَعَتْ إِلَى الْفَرْدِيَّةِ وَاحْتِلَالِهَا
مَحَلَّهُ لَكِنَّا تَطَرَّفَتْ فِي إِعْلَاءِ شَأْنِ
الْعَاطِفَةِ، وَأَكْثَرَتْ مِنَ التَّهْوِيمَاتِ
الْخَيَالِيَّةِ، وَرَفَضَتْ رِبْطَ الْأَدَبِ
بِغَايَةِ خَلْقِيَّةٍ، فَمَهَّدَتْ السَّبِيلَ
لظُهُورِ مَدْرَسَةِ الْفَنِّ لِلْفَنِّ، وَدَعَتْ
إِلَى تَحَرُّرِ الْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ قَوَانِينٍ
خَارِجَةٍ عَنْهُ، بَلْ حَارَبَتْ الدِّينَ،
وَبَعُدَتْ أَتْبَاعُهَا عَنِ الْوَاقِعِ فَهَرَبُوا
إِلَى الطَّبِيعَةِ أَوْ إِلَى مَا وَرَاءَهَا
بِخَيَالِهِمْ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى الْأَسَاطِيرِ
وَالْأَوْهَامِ أَوْ حَتَّى إِلَى الْإِنْتِحَارِ،
وَدَعَوْا إِلَى الْعِزْلَةِ، وَكَثُرَ عَنْدهُمْ
الْقَلَقُ وَالتَّشَاوُمُ وَالسَّلْبِيَّةُ فِي

حَاكَى قِصَائِدَ الشُّعْرَاءِ الْعَرَبِ
الْبَحْتَرِيِّ وَالْمُتَنَبِّيِّ وَابْنِ زَيْدُونَ^(٥)،
وَتَحَدَّثَ عَنِ الْمَاضِي الْمَجِيدِ لِلْعَرَبِ
وَالْإِسْلَامِ، لَكِنَّهُ ذَكَرَ عَهْدَ الْفَرَاعْنَةِ
فِي قِصِيدَتِهِ «كَبُرَى الْحَوَادِثُ فِي
وَادِي النَّيْلِ»، وَأَشَادَ بِحَضَارَتِهِمْ



أحمد شوقي



إيليا أبو ماضي

وَعِظَمَائِهِمْ، وَمَجْدَ عِظَمَاءِ الْغَرْبِ
فِي قِصَائِدٍ أُخْرَى مِثْلَ فَيَكْتُورْ هِيَجُو،
وَتُولَسْتَوِي، وَنَابَلْيُونِ بُونَابَرْتِ، مِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْفَرَاعْنَةِ:

إِيهِ سِيْزُوسْتَرِيْسُ مَاذَا يَنَالُ الدَّ
وَصِفُ يَوْمًا أَوْ يَبْلُغُ الْإِطْرَاءُ

حَامِلَةً خَطَايَا الْعَالَمِ، كَمَا أَنَّهُ يَمْلِكُ
مِنْ شَأْنِ الشَّكْلِ فِي النِّصِّ الْأَدْبِيِّ
دُونَ أَنْ يَهْمَلَ الْمُضْمُونُ، بَلْ يَرَى أَنْ
الشُّعْرَ مَا أَمْتَعَ وَعِلْمٌ مَعًا. وَيَكْثُرُ
فِي أَدَبِهِ مِصْطَلَحَاتٌ وَثَنِيَّةٌ مِثْلُ إِلَهٍ
الشُّعْرِ، وَرَبِّهِ الشُّعْرِ، وَعَشْتَرُوت...
وَهَذَا الْمَذْهَبُ أَوْ الْمَدْرَسَةُ
النَّقْدِيَّةُ يَخَالِفُ الْإِسْلَامَ فِي:

١- تَقْدِيرِ الْعَقْلِ، وَجَعَلَهُ مَصْدَرَ
الْقَوَانِينِ؛ لِأَنَّ تَشْكِيلَةَ الْعَقْلِ
الْوَثْنِيَّةَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى فِكْرِهِ.
٢- وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْإِنْسَانِ نَظْرَةً
مَثَالِيَّةً، بَيْنَمَا يَنْظُرُ الْإِسْلَامُ
إِلَى النَّاسِ نَظْرَةً وَاقِعِيَّةً لَا
مَثَالِيَّةَ فَهْمٍ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
يَصْطَرَعُونَ.

٣- وَيَخَالِفُهُ أَيْضًا فِي نَظَرَتِهِ إِلَى
الطَّبَقَاتِ مَعَ الْإِهْتِمَامِ بِالطَّبَقَةِ
الْعُلْيَا لِأَنَّ الْإِسْلَامَ سَوَّى بَيْنَ
النَّاسِ، وَجَعَلَ أَكْرَمَهُمْ أَتْقَاهُمْ،
وَلَمْ يَحْمِلْ أَحَدًا خَطِيئَةً لَمْ
يَرْتَكِبْهَا.

وَأَمَّا تَطْبِيقَاتُ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ
فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ فَكَانَتْ مَحَاكَاةً
لِلْأَدَبِ الْقَدِيمِ وَعَوْدَةً إِلَى مَاضِينَا
الْمَجِيدِ، وَدَعْوَةً إِلَى الْمَحَافَظَةِ عَلَى
جَمَالِ الْلُغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَكِنْ تَسَرَّبَتْ
إِلَى بَعْضِ أَدَابِهَا أَلْفَاظُ الْوَثْنِيَّةِ
الْإِغْرِيقِيَّةِ.

وَأَخِيرَ مَا يُمَثِّلُهَا فِي أَدَبِنَا
الْعَرَبِيِّ شِعْرُ أَحْمَدَ شَوْقِي فَقَدْ



الحياة، وجنحوا في آدابهم نحو المجون.

وهذه المدرسة يرفضها الإسلام لمخالفتها مبادئه وأصوله، فأصحابها تفلتوا من عقاب الدين، وكثر لديهم الشك في العقيدة، وقصيدة الطلاس لآيليا أبي ماضي خير مثال لها.

ويقول فوزي المعلوف في شك مماثل:

حياتك شك وموتك شك

فلنقمُ بالشك بالمدام
كما كثر عند أتباعها الحديث عن المجون، وتمجيد الخطيئة، وتسميتها بغير أسمائها على نحو «الموس الفاضلة، زهور الشر، وصلوات في هياكل الحب...» وهاجم بعضهم اللغة العربية، وكلمة جبران خليل جبران «لكم لغتكم ولي لغتي» معروفة شهيرة، لكن بعض الرومانسيين العرب كانوا مع أمتهم إذ صوروا جرائم المعتدين عليها، ومن هؤلاء أبو القاسم الشابي.

٣- مدرسة الفن للفن
«البرناسية»:

ظهرت في القرن التاسع عشر متأثرة بفلسفة أرسطو التي تدعو إلى استبعاد الشعر عن الأخلاق، كما تأثرت بفردية المدرسة الإبداعية فنادت بالخروج

عن مبادئ المجتمع ومعتقداته وأخلاقه، وأعطت للأديب حرية القول إن حقق جمالية التعبير، لأن الغاية من الأدب برأيها هي الإمتاع وتغذية النفس لا التعليم ولا التهذيب^(٨).

وهذا التطرف في الفردية والجمالية والحرية انحرف بها عن جادة الصواب، وجعل أتباعها ينحرفون وراء تصوير الشهوات،



أبو القاسم الشابي

وهذا ما لا يرتضيه الإسلام، فقد أهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دم كعب بن الأشرف لأنه شرب بنساء المسلمين فقتل.

«وقتل عمر رضي الله عنه سُخَيْمًا عبد بني الحسحاس لتشبيهه بامرأة معروفة، وندد أبو عمرو الشيباني والأصمعي والآمدي بشعر أبي نواس والمتنبي لما فيهما من رقت ومخالفات

شرعية. أما الجرجاني في قوله: «فلو كانت الديانة عارا على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحي اسم أبي نواس من الدواوين... ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»؛ فقد أراد منه إعلاء شأن الفنية لا إهمال المضمون». والأدب الإسلامي تعبير فني جمالي، لكنه أيضا هادف، ومعياري السمو في الآثار الفنية ما توحى به من فضيلة.

ويقف أصحاب هذه المدرسة موقفاً سلبياً تجاه قضايا الأمة، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(٩).

٤- المذهب الواقعي:

ظهر في القرن التاسع عشر أيضاً، وجاء رداً على تطرف المدرستين الإبداعية ومدرسة الفن للفن في سلبيتهما تجاه قضايا المجتمع، وهو على ثلاثة أنواع: الواقعية النقدية، والطبيعية، والجديدة أو الاشتراكية.

أ- الواقعية النقدية:

دعت إلى أن يكون الفن للحياة، بمعنى أن يعمد الأدب إلى تحرير الإنسان من الواقع الأليم، ويختار الواقعيون مادة تجاربهم الأدبية من مشكلات العصر، وشخصيات

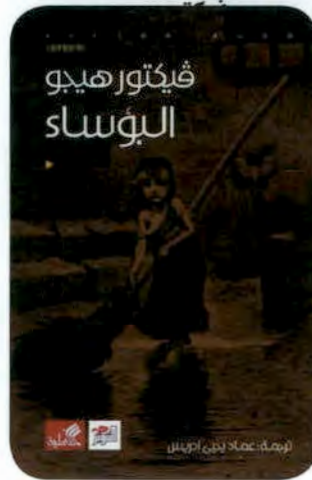
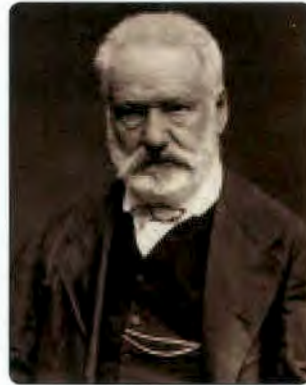
قصصهم من الطبقة الفقيرة والوسطى، وهذه المدرسة تركز على سلبيات الحياة وعلى الحديث عن شقاء الإنسان ولا سيما المرأة. ومن أدبها في بلادنا العربية قصة النبؤساء المترجمة من حافظ إبراهيم، إذ صورت نظرة المجتمع السلبية إلى الإنسان المذنب، وعدم الصفح عنه على الرغم من توبته، خلافا لما في الأخلاق الإسلامية المتعلقة بالتائب، ورواية شاهدة لراشد عبد الله التي تتحدث عن مشاكل الخدم وخيانة المرأة^(١٠).

ويرى الإسلام أن التركيز على الشر ونشر الفساد والمجون قد يؤدي إلى إحساس باللامبالاة تجاهه وهذا يؤدي إلى انتشاره، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾، (النساء: ١٤٨)، فضلا عن أن الحديث عن معاناة المرأة والطلاق والتعدد أدى إلى النفور من التشريع الإسلامي تجاه المرأة، مع أن الإسلام من تصويرهم بريء، وإكرامه للمرأة لا يساويه أي قانون وضعي.

ب- الواقعية الطبيعية:

وهذه تنفي عن الإنسان حرية الإرادة فهو بزعمها - متأثرة في ذلك بدارون وفرويد - حيوان بشري، ولا أثر للدين في حياته،

والظواهر الروحية والفكرية والأخلاقية ما هي إلا مركبات كيماوية قابلة للتحليل، ولا رادع للمرء لا من دين ولا قانون ولا قيم، وتصرفاته ناجمة عن غرائزه وحاجاته الطبيعية. يقول



زعيمها إميل زولا في روايته (تيريز راكان): «لقد اخترت أشخاصا تسيرهم أعصابهم ودماؤهم، وأشخاصا تجردوا من الإرادة الحرة وانقادوا في جميع أفعالهم

لأقدار كيانهم العضوي، إنهم حيوانات بشرية الروح غائبة عنهم نهائيا».

وقد ظن أصحابها أن ما يأتي به العلم لا يتطرق إليه الشك، ولذلك عارضوا عقائدهم مما أدى إلى تمزقهم، ومبادئها تخالف الإسلام مخالفة صريحة، ولذلك بدت عند الكتاب انحرافات خلقية وجنسية وصراعات طبقية، وكفر والحاد، إضافة إلى أن تأليف معظمهم كانت بالعامية، وفي هذا هدم للفتن وهويتنا^(١١).

ج- الواقعية الجديدة أو الاشتراكية:

وهذه نكسة أخرى في تاريخ الأدب، إذ فتحت المجال على مصراعيه للثورة على الدين، وهي تدعو إلى تغيير المجتمعات وقيمها لتستمد مبادئها من موسكو الشيوعية التي تعتقد أن (لا إله والحياة مادة)، و(الدين أفيون الشعوب)، وتقوم مبادئ هذه الواقعية على:

أ- الحياة مادة ولا وجود للإله أو لسلطته على الأقل في الأرض. وهي متأثرة في ذلك بالأفكار الماركسية، ولذلك ترى الحياة صراعا، والسلطة فيها للإنسان، وهذا يؤدي إلى التكالب على المادة بأي شكل من الأشكال. بينما



يهتم الإسلام بالمادة والروح، والسلطة فيه للقانون الإلهي الذي وضعه المولى تعالى خالق البشرية العالم بما يصلح لعباده. وهذا ما يجعل الأديب في ظلال الإسلام يحس بالطمأنينة.

وفرق بين أديب يشعر بالتبعية لجماعة متطرفة تنقصها الخبرة بالنفوس البشرية مما يجعل موازينها متعرضة للتغيير حسب الظروف، وآخر يشعر بالانتماء إلى شرع صادر من خالق الناس الذي هو أعلم بما يصلح لهم.

٢- تهتم بالطبقة الكادحة، وتعيش في صراع لا تأخى معه مع ذوي الطبقة الغنية، وكان العقاد يسمي أدب هؤلاء «أدب البطون الجائعة»، لأن موضوعاتهم حصروها في الفقر والغنى، والإسلام يشجع الأغنياء على مساعدة الفقراء، ويضع في الوقت نفسه أمام الأغنياء واجباتهم التي فرضها الله سبحانه دون أن يورث حقاً أو صراعاً، والدولة تكفل حق هذا وذاك مادياً ونفسياً.

٣- تلزم الناس على اعتناق مبادئها كما تلزم الأدباء على أن يكونوا بوقاً لها، ولا حرية

إلا لمن يمتنع هذه المبادئ، ولذلك يكثر النفاق في المجتمع، وفرق بين الإلزام القسري عندها، والالتزام بالإسلام الطوعي وبدافع إيماني يجعله يؤدي دوره بالكلمة الطيبة، وحرية العباد مكفولة في ظلال الإسلام، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ (البقرة)، كما قال تعالى.



عباس محمود العقاد

٤- انتمائها للجماعة يلغي الفردية، ولهذا فلا توازن فيها كما هو الحال في المذهب الإسلامي الذي يحافظ فيه المرء على ذاتيته وعلى متطلبات الجماعة معاً.

٥- تنظر إلى الواقع بمنظار

أسود، وتدعو إلى الثورة عليه لتحقيق المبادئ، وهي ثورة متفائلة بانتصارها ولو بقوة السلاح^(١٢)،

بينما ينظر الإسلام إلى الواقع بنظرة إيجابية متفائلة لا سلبية قائمة.

٦- أدى حربه للدين إلى انغماس الأدب في الشهوات تحت تأثير أفكار دارون المادية، وفرويد المتعلقة بالكبت الجنسي، وهذا كله يرفضه الإسلام.

٧ - واهتمت بالمضمون على حساب الشكل الفني، والأدب الإسلامي تعبير فني هادف^(١٣).

ومن الغريب أن يجمع د. نسيب نشاوي بين الواقعية النقدية الجديدة الاشتراكية وبين المذهب النقدي الإسلامي، ويسميه الواقعية الإسلامية، وحجته في ذلك أنهم يتحدثان عن الواقع وتلتزمان الدعوة إلى التغيير^(١٤)، ولكن يوجد فرق بين تغيير للخير والصالح بمنهج رباني، وتغيير للإلحاد والمجون. وبين التزام إسلامي نظيف يحس المرء في ظلال آدابه بالطمأنينة والراحة، والزام قسري يولد الصراع والحقد، وينشر الضغينة بين أبناء المجتمع الواحد فتكثر بذلك الجرائم والأمراض والعقد النفسية.

٥- المدرسة الرمزية:

تعود هذه المدرسة في مبادئها إلى المدرسة الأفلاطونية التي

وتأجها الأدبي والنقدي، إذ انضوى تحتها جميع التغريبيين الماديين من فرويديين وداروينيين وماركسيين وديمقراطيين، وكان الجامع بينهم شهوة محاربة الدين وتقاليده وتراثه، يقول غالي شكري: «الحدثة تتخذ من الغرب إطارا مرجعيا لها»، وهي «نظرة مادية تقوم على هدر القيم والتعادات والأديان والتراث، واللفة والأعراف الموضوعية والفنية جميعها، إنها هدم للهدم، وتغيير للتغيير»، لا للبناء. ويقول تزارا أحد فلاسفتها: «الوطن والعائلة والأخلاق والفن، والدين والحرية والأخوة كانت تعتبر قديما جوابا للحاجات الإنسانية، وفي يومنا هذا لم يبق منها إلا هيكل عظمي من الاتفاقات والاعتبارات، هناك عمل تهنيمي كبير ينبغي أن يتم، لابد من التكنيس والتنظيف»^(١٦).

وأبرز مدارسها هي:

أ- الوجودية:

وتدعو إلى الحرية المطلقة، وتقول: إن الإنسان هو المسؤول عن تصرفاته ومصيره، ولا دخل لأحد حتى الله فيها، وبذلك تبطل دور الله سبحانه، بل إنه برأي زعيمها سارتر: «خرافة ضارة»، ويزعم هذا أن الإنسان موجود فيما يفكر فيه، معتمدا على فلسفة ديكرارت

والإسلام يحارب تطرف هذه المدرسة لاعتمادها على الإحياءات والغموض، كما ينكر أن تتحول اللغة عن مدلولاتها المعجمية لأن هذا يؤدي إلى دمارها، لكنه في الوقت نفسه لا يعارض الرموز الشافة عن



زكريا تامر



محمود درويش

المعنى إن كان مضمونها إسلامياً، ويكثر الرمز عند متصوفة العرب ومُجَّانهم في العصر الحديث.

٦- المدارس الحداثية:

وهي كثيرة جمعتها تحت هذا العنوان لتشابه فكرها

تنكر المحسوس لأنه برأيها صورة محسوسة لحقائق مثالية غير محسوسة، كما تأثرت بفرويد في حديثه عن العقل الواعي وغير الواعي، إذ تعد الأول محدودا والآخر رحبا، وأن العالم الخارجي الواقعي ليس جديرا بأن يكون مجالا للشعر، ولهذا فهي تعتمد على العقل اللاواعي، ومن هنا باتت لغتها تلمح ولا تصرح لأنها تنقل بشكل إيحائي ما في خاطر الإنسان، وهذا يؤدي بها إلى تفسيرات متعددة للنص الواحد، لأن اللغة خرجت من قبضة العقل الذي يعتمد على الإيضاح، إلى قبضة اللاوعي والإحياءات التي تعتمد على الغموض والضبابية، وترد عند أصحابها رموز تاريخية وأدبية وطبيعية، وتتجمع الصور وتتكاثف في آدابهم، ويختلط فيها الشعور بالاشمور، وتحتل تأويلات متعددة، وقد أمعن بعضهم في الغموض حتى قال محمود درويش:

طوبى لشيء غامض

طوبى لشيء لا يفهم.^(١٥)

ومن أمثلة أدبها قصص علي أبو الريش مثل ثنائية الحب والغضب، ونافذة الجنون، وتل الصنم، وبعض قصص زكريا تامر.



الذي يقول: «أنا أفكر فإذا أنا موجود..» وبذلك ينحصر وجوده بتفكيره لا بخلق الله سبحانه له، وهي تدعو إلى أن يتخلص الإنسان من كل موروث ليحقق ذاته، وهذه الوجودية أدت بأفكارها وجودها إلى انغماس الناس في الشهوات.

ومن دعائها في أدبنا العربي د. بدوي، وهو لتصوفه يربط بينها وبين وحدة الوجود عند المتصوفة، ويدعو إلى الكتابة عن الموت والخطيئة بعيدا عن الفكر الديني، لأن الإنسان - بزعمه - يجب ألا يتملق الدين أو الأخلاق، وألا يلتزم بلفته لأنه حر يكتب باللغة التي يريد.

وكفى بهذه الضلالات شاهدا على ضرورة محاربتها وآدابها.

ب- المدرسة الدادية:

وهذه لا تضبط بعقل، ولا مقاييس لأدبها أو لفته، ويقول زعيمها سوبو: «ضع الألفاظ في قبعة ثم أخرج ما يعن لك»^(١٧) وإهمالها للحواس وللقواعد ولغة يجعلها عبثية جنونية، والأديب المسلم يرفض العبثية.

ج- مدرسة اللامعقول:

وهذه ترى أن العالم لم يعد يحكم بنظام ولا بمنطق، فليكن الأدب مرآة لهذا اللامعقول، ولذلك لا يلتزم أصحابه في آدابهم

بزمان ولا بمكان، ويجمعون بين المتناقضات^(١٨). والإسلام يريد من الأديب أن يكون واعيا، وأن يتصرف بحكمة لا أن يخبط خبط عشواء؛ إلا إن كان اللامعقول سبيلا للمعقول كما في مسرحية



د. عبدالرحمن بدوي



عمر الأميري

خيوط الذهب التي نقدت تسلط الحكام ونفاق الحاشية.

د- نظرية التلقي:

وهي تدع للمتلقي أن يشارك في النص فيكمل فراغات ترك فيه ليملاها بما يشاء، وبذلك يفسر

كل قارئ النص كما يريد. ومن أمثلتها قول أدونيس:

«تحبل النار... أيامي....»

... أنثى دم تحت نهديها

..... صليل.....

والإبط آبار دمع

... نهر تائه

وتلتصق الشمس عليها كالثوب

تزلق

... جرح فرعته وشعثته بياه

وبهار

هذا جنينك؟ أحزاني ورد»

وصار النص بعد ملء

الفراغات:

«تحبل النار... أيامي

أيامي أنثى صليل (تحت

نهديها) والإبط آبار دمع

أيامي نهر تائه

وتلتصق الشمس عليها كالثوب

تزلق

أيامي جرح فرعته وشعثته

بياه وبهار

(هذا جنينك؟) أحزاني ورد».

(١٩)

وقد أثبت التجارب أن هذه النصوص غامضة لا جدوى منها، وهذا ما يجعلها عبثا لا يرضاه المسلم في حياته.

ه- المدرسة الطبيعية:

وهذه تستعين في نصوصها برسوم وأرقام وأشكال حروف،

وقد لا يكون لقصائدها معنى لأنها لا تعتمد على الترابط اللغوي والنحوي، وهي تدّعي أنها بهذا تتخلص من الجمود التعبيري، وهذه مهزلة أدبية ولغوية، وليست فناً على الإطلاق. وقد أدانها جميع النقاد، وعدوا إنتاجها عملاً جنونياً.

وممن كتب فيها أدونيس مقلداً شاعراً فرنسياً كان يلهو بعلبة سجائر، ويرسم أشكالا، ويكتب شعراً، ثم أرسل العلبة إلى جنود فرنسيين في الحرب، فاستحسنوا فعله، ونشروا عبثه على أنه أدب جديد، بل طليعي!.. فقلدهم أدونيس في ذلك تقليداً أعمى فكتب:

« ١٩٣٠ الشمس قدم طفل

عرفت أقل من امرأة

لأنني تزوجت بأكثر من امرأة
الزواج غبار

لكن

مثل يرقّة تتحول إلى فراشة

١٩٣٣ نبتة تشعل قنديلا

١٩٤٠ طفل يعد الغيم ينتظره

الحريق

١٩٥٠ تمطر في أنحاء أخرى

ستحظى بينابيع يأخذها

غيرك

الجسد أطول طريق إلى

الجسد

و- المدرسة التفكيكية:

وتقوم على إسقاط القيم والموروث الديني، وتنتمي إلى الخلخلة والتشويش والتشبيث بما هو غير مستقر ولا ثابت.

ز- المدرسة السريالية:

وهذه تشبه سابقتها إذ تدعو إلى التحرر من العقل الذي تعده زيفاً، وتعد الإنسان حيواناً بعيداً عن اليقظة، وتهتم بكل شاذ وبحالات الجنون، لأن الجنون -



محمود حسن إسماعيل

بزعمها - يحرر صاحبه من وطأة العالم الخارجي، وتسفه عالم الأحياء الذين أخذوا إلى الدين والمنطق والعقل، والأعراف والحس والمادة، وترى أن العقل والمنطق عدوان للفن، وتكر أساليب اللغة وقواعدها في التفاهم، وترى فيها رقاً يحجر على الأديب، وأدائها غامضة مضطربة في رموز غير فنية ولا هدف من ورائها،

وأشعارها لا تتبع نظاماً للشعر العروضي أو المرسل أو شعر التفعيلة، فضلاً عن مضامينها المهذمة والمشوشة.

ومن شعرائها محمود حسن إسماعيل، وفي شعر أدونيس وجبرا إبراهيم جبرا وصلاح عبد الصبور لمحات منها.

ويقول عمر بهاء الدين الأميري في هذه العبثية:

عبث الإنسان بالإنسان ما

كان فتاً في حجي الحق المبين

إنه الرق الذي ينكره

كل إنسان ووجدان ودين^(٢٠)

وهذه المدارس الحداثية كلها كما رأينا تجتمع على نكران العقيدة والدين والتراث الفكري واللغوي، وتدعو إلى هدم الثوابت بما فيها الأخلاق واللغة، وإحلال العلم، بل حتى الجنون؛ محل الله والعقل، وجعل الإنسان محور الوجود، ويقول الفيتوري في ذلك:

« ليس على الأرض سوى

الإنسان

ما ثم إله يتجبر

كذب ما قالته الأديان^(٢١)

تعالى الله ودينه الإسلام عن ذلك علواً كبيراً.

ولا تقل القصص في انغماسها بهذا الإلحاد الفكري أو الفجور الماجن عن الشعر، ففي قصص



الكاتب الإماراتي علي أبو الريش هجوم على لسان الشخصيات على الدين والتاريخ والأنبياء، والخلفاء وعظماء الإسلام، كما يشيد بأعداء الإسلام كالقرامطة. وفي رواية القرمطي لأحمد رفيق عوض تشويه لصورة الخليفة المقتدر، إذ تجعله لا يكاد يصحو من سكره، وهو يلهو مع الجواري والغلمان، ولا يهमे إلا الأكل واللهو.

وفي القصص الحداثية مجنون مبتذل بلا حياة ولا تورية، كما في قصة حدث في إستانبول لكريم معتوق، وفي مجبل بن شهوان لعلي أبي الريش كذلك، وهو يندد بالعلاقة الزوجية الطاهرة، ويسميتها تخاذلاً واستكانة، ويجعل الأخرى أجنحة ملونة بهيجة، ولا فرق بينهما برأيه إلا ورقة وخاتم موروث، وهو يسخر من هذه الصكوك، ويتمنى أن يمحي الحياء من الوجود^(٢٣)، ويرى أدونيس الخطيئة رمز التجدد وابتعاث الحيوية.

أما لغويا فالحدثة تدعو إلى لغة لا يربط بينها نظام ولا قواعد، يقول أدونيس: «اللفة العربية لغة انبثاق وتفجر، وليست لغة منطق أو ترابط سببي، إنها لغة وميض وبصيرة لا لغة النحو

والصرف^(٢٤)»، كما تدعو إلى تدمير اللغة بتسكين حروفها أو ترك قواعدها، وإلى الأخذ بالعاميات وكتابة الآداب بها، وتزعم أنها ماتت ولا أمل في حياتها وهذا ما فتح الأبواب على مصراعها أمام الأخطاء وركاكة الأسلوب.

كما دعت إلى أدب غامض لا يفهم، و«الشعر العربي عرف الغموض، ولكنه ليس الغموض



د. عبدالقدوس أبو صالح

الذي يقول به الحداثيون اليوم، وهذا الغموض غموض تافه، هذيان، ونفخ على زجاج بارد^(٢٥). وبعض الرموز غدت عند الحداثيين هلوسة وهذيانا ينفث فيها الفجور والكلمات السوقية التي يربأ الإنسان أن يفوه بها، وهذا ما أحرز القلوب وأقضى المضاجع، لأن غاية الأدب أن يسمو بالجماهير مضمونا ولغة

لا أن يهبط بها إلى الحضيض لأنه يقلد الغرب، ولهذا قال د. عبد القدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

يا أيها الأدباء أضحي الضن

بالإيمان جحدا

يا أيها الأدباء صار الشعر

للتزييف ندا

كم من ضلالات الفنون تزيد في

التضليل بعدا

والجنس في الآداب يهدم ما

بناه الدين وأدا.^(٢٥)

ومن قديم لأم ابن الأنباري ابن المعتز لتدوينه شعر أبي نواس، وقال: إن من حق هذا الخليل ألا يتلقاه الناس بالسنتهم، وألا يدونوه في كتبهم، ولا يحمله متقدمهم إلى متأخرهم. وقال أبو عمرو الشيباني: «لولا أن أبا نواس أفسد شعره بهذه القاذورات - يعني الخمور - لاحتججنا بشعره. وأعلن ابن بسام صاحب الذخيرة تبرمه من كل شعر فيه إلحاد وفلسفة. وحذف ابن حزم الأندلسي كثيرا مما يفسد أخلاق الناشئة. وقال ابن شرف القيرواني: «إن النظرة إلى بعض القصائد من زاوية خلقية إنما هي من صميم العمل الفني».

وأخيراً، فإن الكشف عن الجذور الفلسفية والعقائدية

يخالف الإسلام، فإنه يضعف فيها الصوت الإسلامي كما هو الحال في بعض الأعمال الأدبية المتأثرة بالمدرسة الواقعية.

ولكن هذا لا يعني أن ندع الاستفادة من معطيات هذه المدارس شريطة أن يتمثل الأديب المسلم فنيته، ثم يخرجها في بوتقة إسلامية، وأن يوظفها لخدمة أهدافه ولفته، وبهذا نكون في حيز التبادل الثقافي القائم على الأخذ والعطاء مع محافظتنا على أصالتنا وهويتنا ■

العربيان في ظل هذه المدارس الأدبية والنقدية الغربية.

وهناك ضوابط للاستفادة من مدارس النقد الغربي تقوم على أنه ليس من الموضوعية في شيء أن نطبق مبادئ غربية تختلف في جذورها وبيئات أهلها على نقدنا العربي المختلف في جذوره وبيئته.

كما أنه لا يليق بالمسلم أن يأخذ مدرسة نقدية ويحاول أن ينتج نصاً أدبياً بناء على معطياتها، لأنه وإن خالصها مما

الوثنية التي تكمن خلف هذه المدارس أولى بالاهتمام، وهذا ما تقصّر فيه الدراسات؛ حتى الجامعية منها، مما أدى إلى الإحساس بالنقص تجاهها لعدم الأخذ بمعطياتها، والحقيقة هي أن المنهج صدى لأصوله النظرية، ويخشى من عدم توضيح هذه القضية في الدراسات النقدية أن تتحول الآداب إلى مادية فتقلب الموازين والمعايير وتتعكس الغايات.

وقد تخبط النقد والأدب

الهوامش:

- (١) رواء الحاكم في مستدركه والطبراني في المعجم الأوسط عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ. وقال فيه الألباني: ضعيف جداً، السلسلة الضعيفة، ج ١، ص ٤٨.
- (٢) د. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٤، س ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٩٨.
- (٣) سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، بيروت، دار الشروق، ط ٥، ١٤٠٣هـ، ص ٢٠.
- (٤) الأدب الصادر عن مسلم دون أن يحوي رؤية إسلامية فيسمى أدباً محايداً، والأدب الصادر عن غير مسلم ولكنه يوافق مبادئ الإسلام فيسمى أدباً موافقاً، وما كان فيه مخالفات للإسلام فيسمى أدباً مضاداً.
- (٥) في الأدب الإسلامي، ص ١٠٧.
- (٦) مجلة الأدب الإسلامي، ع ٤٥، س ٢٠٠٥م، ص ٢٢، بعنوان حوار مع د. صابر عبد الدايم.
- (٧) ينظر مثلاً قصيدته في رثاء جدته التي شابهت قصيدة المتنبي في رثاء أمه في ديوان الشوقيات، ٣٨/٢.
- (٨) ديوان الشوقيات، ٢١/١.
- (٩) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص ٧٧. وخفاجي، مدارس النقد الأدبي، ص ١٦٥.
- (١٠) راشد عبد الله، رواية شاهندة، ط ١٩٩٨، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات في الشارقة، ص ٦٨.
- (١١) سيد سيد عبد الرازق، المنهج الإسلامي في النقد الأدبي، ص ١٤١ - ١٤٢، وخفاجي، مدارس النقد الأدبي، ص ١٥٨.
- (١٢) الحداثة، ص ٤٠.
- (١٣) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد.
- (١٤) مدخل إلى دراسة المدارس، ص ٣٤٠.
- (١٥) الحداثة.
- (١٦) الحداثة، ص ٥٧ و ١٥٦ و ١٧٣.
- (١٧) خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، ص ١٧٦.
- (١٨) السابق نفسه، ص ١٨٥.
- (١٩) اتجاهات النقاد العرب، ص ٣٨٠ والنص: ص ٣٩٠.
- (٢٠) ديوان ألوان طيف.
- (٢١) نقلاً عن د. وليد قصاب، الحداثة العربية، ص ٨٢.
- (٢٢) علي أبو الريش، ثنائية مجبل بن شهبان، ص ١٨٢.
- (٢٣) الحداثة، ص ١٨٩.
- (٢٤) الحداثة، ص ١٦٩.
- (٢٥) من الشعر الإسلامي الحديث، ص ١١.